د. عبد الله بن عبده العواضي

ابن إسحاق

حياته-حاله عند أهل الحديث

كتابه السيرة

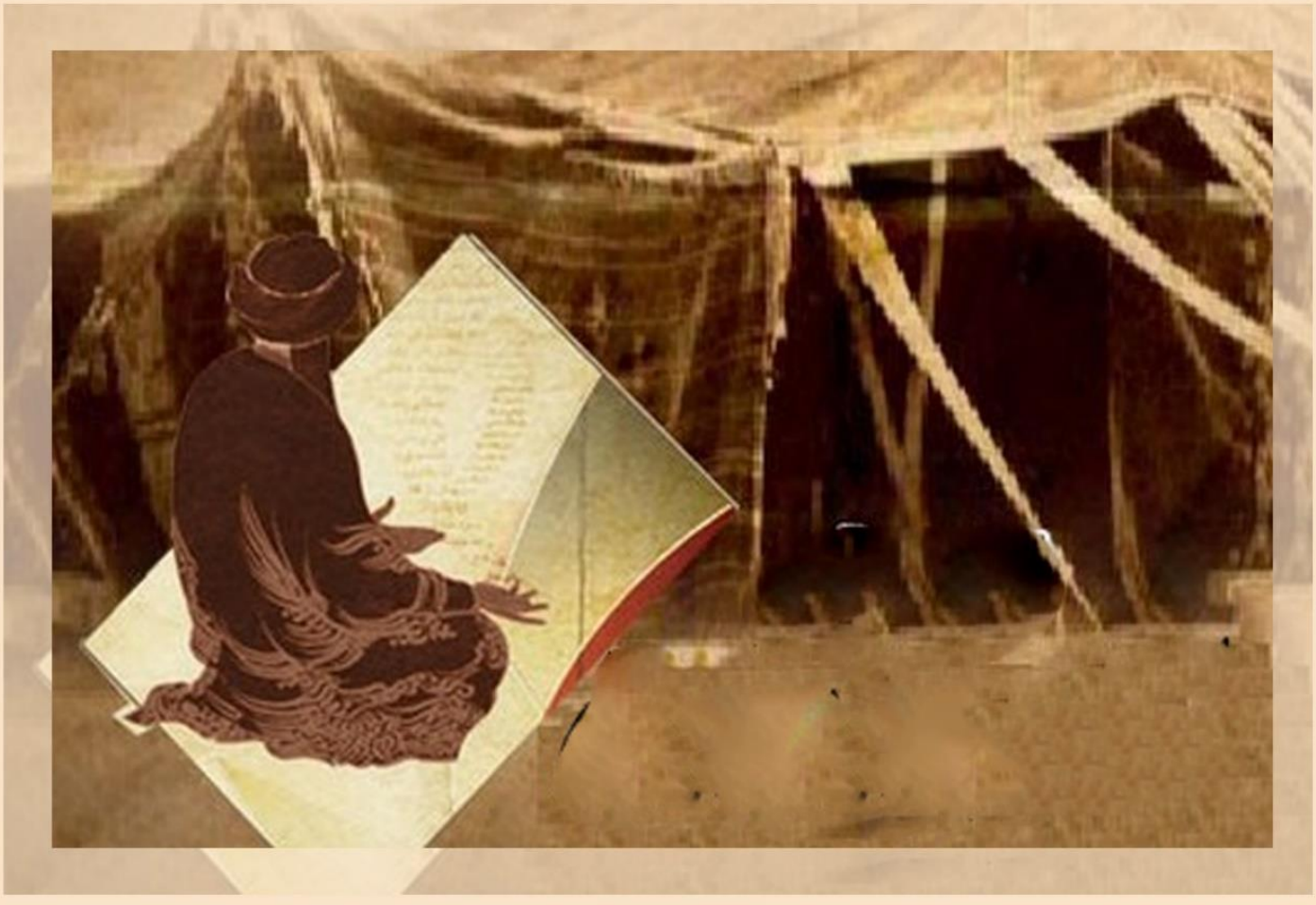

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن إسحاق

حياته–حاله عند أهل الحديث–كتابه السيرة

د. عبد الله بن عبده العواضي

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه؛ أما بعد:

فإن الإمام ابن إسحاق علم من أعلام الإسلام الذين بقي لهم أثر علمي في الأمة تتناقله الأجيال جيلًا بعد جيل، فمتى ذكرت السيرة النبوية ذكر الإمام ابن إسحاق، الذي كان له فضل عظيم في تتبع أحداثها وتدوينها وترتيبها، حتى سلك المدونون في السيرة على منواله، فصاروا عالة عليه.

وكما كان له ذلك الجهد المبارك الخالد في السيرة؛ كان له جهد آخر كبير وهو رواية حديث النبي عليه الصلاة والسلام.

غير أنه في شأن الحديث قد حصل فيه خلاف كثير عند علماء الحديث، بين معدل ومجرح.

فأحببت في هذه الورقات أن أتحدث عن ابن إسحاق رحمه الله في الجانب الشخصي، ثم أتحدث بعد ذلك عما قيل عنه من الناحية الحديثية، وما قيل عنه وعن كتابه في المغازي والسير.

وأصل هذا البحث فصل من فصول رسالتي للماجستير التي تحمل عنوان" أقوال ابن هشام المعافري في التفسير، من خلال كتابه "السيرة النبوية" (الجزئين: الثالث، والرابع) (جمعًا ودراسة)". فحذفت أشياء وأضفت أخرى حتى خرج بهذه الصورة، وقد أفردته لأهمية ذلك، خاصة أن الرسالة لم تطبع بعد.

وقد تكونت هذه الدراسة من ثلاثة مباحث، تحت كل مبحث مطالب، على النحو الآتي:

المبحث الأول: ابن إسحاق نشأته، وحياته العلمية، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: كنيته، واسمه ونسبه.

المطلب الثاني: مولده، ونشأته.

المطلب الثالث: طلبه للعلم، ورحلاته.

المطلب الرابع: شيوخه، وتلاميذه.

المطلب الخامس: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

المطلب السادس: وفاته- رحمه الله-.

المبحث الثاني: حال ابن إسحاق عند أهل الحديث، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أقوال العلماء في تعديل ابن إسحاق والثناء عليه.

المطلب الثاني: الطعون التي وجهها بعض العلماء نحو ابن إسحاق، والجواب عنها.

المطلب الثالث: الترجيح.

المبحث الثالث: كتاب السيرة النبوية لابن إسحاق، وما قيل فيه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مميزات سيرة ابن إسحاق.

المطلب الثاني: ثناء العلماء على ابن إسحاق في سيرته.

المطلب الثالث: هفوات وقع فيها ابن إسحاق في سيرته.

د. عبد الله بن عبده العواضي

٢/١٢/١٤٤٣هـ = ١/٧/٢٠٢٢م

ابن إسحاق

حياته-حاله عند أهل الحديث-كتابه السيرة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ابن إسحاق نشأته، وحياته العلمية.

وفيه ستة مطالب.

المبحث الثاني: حال ابن إسحاق عند أهل الحديث.

وفيه ثلاثة مطالب.

المبحث الثالث: كتاب السيرة النبوية لابن إسحاق، وما قيل فيه.

وفيه ثلاثة مطالب.

المبحث الأول

ابن إسحاق نشأته، وحياته العلمية

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: كنيته، واسمه ونسبه.

المطلب الثاني: مولده، ونشأته.

المطلب الثالث: طلبه للعلم، ورحلاته.

المطلب الرابع: شيوخه، وتلاميذه.

المطلب الخامس: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

المطلب السادس: وفاته- رحمه الله-.

المطلب الأول: كنيته، واسمه ونسبه:

كنيته:

اختلف المترجمون في كنية الإمام ابن إسحاق إلى قولين:

القول الأول: أن كنيته: أبو بكر.

ذكره الأئمة: الذهبي، وابن خلكان، وابن حجر(١).

القول الثاني: أن كنيته: أبو عبد الله.

وذكره الإمامان: الذهبي، وابن خلكان، مع الكنية السابقة(٢).

اسمه ونسبه:

اتفق المترجمون للإمام ابن إسحاق على أن اسمه:

محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، ابن كوثان، وقيل: ابن كوتان(٣)، القرشي، المطلبي مولاهم، المدني(٤)، العلامة، الحافظ، الأخباري(٥)، إمام المغازي(٦).

---

(١) سير أعلام النبلاء(٧/٣٣)، وفيات الأعيان(٤/٢٧٦)، تقريب التهذيب(١/٤٦٧).

(٢) سير أعلام النبلاء(٧/٣٣)، وفيات الأعيان(٤/٢٧٦).

(٣) تاريخ بغداد(١/٢١٤).

(٤) سير أعلام النبلاء(٧/٣٣)، وفيات الأعيان(٤/٢٧٦)، تاريخ بغداد(١/٢١٤).

(٥) سير أعلام النبلاء(٧/٣٣).

(٦) تقريب التهذيب(٢/٤٦٧).

المطلب الثاني: مولده، ونشأته:

ولد الإمام ابن إسحاق سنة: ثمانين هجرية في المدينة النبوية[٧].

ونشأ فيها، وتربى بين أكنافها، وتلقى العلم عن علمائها منذ صباه.

وقد كانت المدينة في ذلك الوقت من أعظم الحواضر العلمية الإسلامية، التي تتميز بكثرة العلماء والفضلاء، الذين نشروا العلوم والمعارف بين الناس. خصوصًا أنها مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي بقي فيها تلاميذ أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، كما يفد إليها من أهل العلم الكثير ممن يزورون المسجد النبوي الشريف، وربما طاب لهم المقام فيها، فاستقروا هناك، فكان لذلك أثر علمي كبير.

(٧) سير أعلام النبلاء (٣٤/٧).

المطلب الثالث: طلبه للعلم، ورحلاته:

أقبل ابن إسحاق على طلب العلم في المدينة النبوية ينهل من منابعه الصافية، في بيئة تُعنى بالعلم، وتعين أهله عليه، وفي ظل وجود أئمة كبار قريبي العهد من زمن الرسالة، حتى قوي عوده، وكثر علمه، ولمع نجمه.

غير أنه لم يؤثر البقاء في المدينة على الرحلة في الأمصار-على عادة العلماء وطلاب العلم في الأزمنة السابقة-، فرحل عن المدينة إلى مدن متعددة يسمع من علمائها، وينشر علمه بين أهلها.

فقدم الإسكندرية سنة: (١١٥هـ)، وروى عن جماعة من أهل مصر وغيرهم، وروى عنه من أهل مصر أكابر منهم.

ولم يقتصر على الإسكندرية، ولم يطل لبثه فيها، بل انتقل إلى غيرها، فأتى الكوفة والجزيرة والري، وبغداد، وسمع أهلها منه، ورواته في هذه البلدان أكثر من رواته في المدينة.

ومما يذكر عنه في حديث رحلاته: أنه أتى أبا جعفر المنصور بالحيرة فكتب له المغازي.

وبعد هذه الرحلة في ربوع هذه المدن الإسلامية ألقى عصا التسيار في بغداد، وبها استقر، وفيها مات، رحمه الله[٨].

(٨) تهذيب الكمال (٢٤/٤٢٤-٤٢٦).

المطلب الرابع: شيوخه، وتلاميذه:

لقد كثر شيوخ ابن إسحاق الذين روى عنهم الحديث، وتلقى عنهم العلم كثرة يصعب استقصاؤها، وكذلك ازداد عدد تلاميذه الذين رووا عنه الحديث، أو تلقوا عنه السيرة؛ ولعل من أسباب هذه الكثرة في مشايخه وطلابه: رحلاته التي جاب بها آفاقًا شتى.

شيوخه:

تناول بعض الذين ترجموا لابن إسحاق ذكر أسماء شيوخه فبلغ عددهم ما يزيد على المائة، ولا شك أن هناك غيرهم لم يذكروا(٩).

فمن مشايخه:

١-محمد بن مسلم بن شهاب الزهري(١٠):

وهو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري الفقيه، أبو بكر الإمام، العلم، حافظ زمانه، أبو بكر القرشي، الزهري، المدني، نزيل الشام. أحد الأئمة الاعلام، وعالم الحجاز والشام، روى عن بعض الصحابة، منهم: ابن عمر. ولد سنة: (٥٨هـ)، وتوفي سنة: (١٢٤هـ)(١١).

٢-القاسم بن محمد(١٢):

وهو: القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أبو محمد: أحد الفقهاء السبعة في المدينة. ولد فيها سنة: (٣٧هـ)، وتوفي بقديد (بين مكة والمدينة) حاجًا أو معتمرًا سنة: (١٠٧هـ). وكان صالحًا ثقة من سادات التابعين، عمي في أواخر أيامه. قال ابن عيينة: "كان القاسم أفضل أهل زمانه"(١٣).

---

(٩) تهذيب الكمال (٤٠٦/٢٤)، وما بعدها، سير أعلام النبلاء (٣٤/٧)، وما بعدها، تاريخ بغداد (٢١٤/١)، وما بعدها.

(١٠) سير أعلام النبلاء (٣٤/٧).

(١١) سير أعلام النبلاء (٣٢٦/٥)، تذكرة الحفاظ (١٠٨/١)، تهذيب التهذيب (٤٤٥/٣٠).

(١٢) سير أعلام النبلاء (٣٤/٧).

(١٣) تهذيب الكمال (٤٢٧/٢٣)، تذكرة الحفاظ (٩٦/١)، تهذيب التهذيب (٢٩/٢٧)، الأعلام، للزركلي (١٨١/٥).

٣-أيوب السختياني[١٤]:

وهو: أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري، أبو بكر: الإمام الحافظ، سيد فقهاء عصره. تابعي، من النساك الزهاد، من حفاظ الحديث. كان ثابتًا ثقة، عداده في صغار التابعين. ولد سنة: (٦٦هـ)، وتوفي سنة: (١٣١هـ)[١٥].

تلاميذه:

أولًا: تلاميذ رووا عنه الحديث: منهم:

١-سفيان الثوري[١٦]:

وهو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد سنة: (٩٧هـ)، وتوفي سنة: (١٦١هـ). مات في البصرة مستخفيًا من المهدي، له من الكتب: الجامع الكبير، والجامع الصغير، في الحديث[١٧].

٢-شعبة بن الحجاج[١٨]:

وهو: شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، مولاهم، الواسطي ثم البصري، أبو بسطام، من أئمة رجال الحديث، حفظًا ودراية وتثبتًا. وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين، وجانب الضعفاء والمتروكين، قال الإمام أحمد: هو أمة وحده في هذا الشأن. وقال الشافعي: لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق. وكان عالمًا بالأدب والشعر. ولد سنة: (٨٢هـ)، وتوفي سنة: (١٦٠هـ) [١٩].

٣-سفيان بن عيينة[٢٠]:

وهو: سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد، ثقة إمام حافظ، كان محدث الحرم المكي. من الموالي. ولد بالكوفة سنة: (١٠٧هـ)، وسكن مكة، وتوفي بها سنة: (١٩٨هـ). وكان واسع العلم

---

(١٤) سير أعلام النبلاء(٣٤/٧).

(١٥) تهذيب الكمال(٤٥٧/٣)، سير أعلام النبلاء(١٥/٦)، تهذيب التهذيب(٣٩٠/٣)، الأعلام، للزركلي(٣٨/٢).

(١٦) سير أعلام النبلاء(٣٥/٧).

(١٧) تهذيب الكمال(١٥٤/١١)، تهذيب التهذيب(١٦٩/١٤) الأعلام، للزركلي(١٠٤/٣).

(١٨) سير أعلام النبلاء(٣٥/٧).

(١٩) تهذيب الكمال (٤٧٩/١٢)، سير أعلام النبلاء (٢٠٢/٧)، الأعلام للزركلي (١٦٤/٣).

(٢٠) سير أعلام النبلاء (٣٥/٧).

كبير القدر، قال الشافعي: "لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز"، وكان إمامًا في التفسير، له الجامع في الحديث، وكتاب في التفسير(٢١).

ثانيًا: تلاميذ رووا عنه السيرة:

منهم:

١-زياد البَكَّائي(٢٢)(٢٣).

هو: أبو محمد زياد بن عبد الله بن الطفيل العامري، البكائي، الكوفي، وصفه الذهبي بـ: الشيخ، الحافظ، المحدث. وزياد هو راوي السيرة النبوية عن ابن إسحاق، وقد سمعها منه، وقدم بغداد فحدثهم بها، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها.

وعن زياد هذا تلقى ابن هشام سيرة ابن إسحاق.

وقد عدل العلماء زيادًا في رواية السيرة، وإن كان لبعضهم كلام فيه من ناحية الحديث.

توفي زياد البكائي سنة: ثلاث وثمانين ومائة، وقيل: في حدود التسعين ومائة(٢٤).

٢-يحيى بن سعيد الأموي(٢٥).

وهو: يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي، أبو أيوب الكوفي، الإمام، المحدث، الثقة، النبيل، أبو أيوب القرشي، الأموي، الكوفي. مولده: سنة بضع عشرة ومائة. ومات سنة أربع وتسعين ومائة(٢٦).

٣-جرير بن حازم(٢٧).

وهو: جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله بن شجاع الأزدي، الإمام، الحافظ، الثقة، المعمر، أبو النضر،

---

(٢١) تهذيب التهذيب (١٧٥/١٤)، طبقات المفسرين – الأدنروي (ص: ٢٣)، الأعلام، للزركلي (١٠٥/٣).

(٢٢) سير أعلام النبلاء (٥/٩).

(٢٣) ضبطه بهذا: السمعاني في الأنساب، فقال: "البكائي: بفتح الباء المنقوطة بواحدة، وتشديد الكاف، وفي آخرها الياء المنقوطة باثنتين، هذه النسبة إلى بني البكاء وهم من بني عامر بن صعصعة". الأنساب، للسمعاني (٢٨٩/٢).

(٢٤) سير أعلام النبلاء (٦/٩-٧)، الطبقات الكبرى (٣٩٦/٦)، الكامل في ضعفاء الرجال (١٩١/٣)، تهذيب الكمال (٤٨٩/٩)، تاريخ بغداد (٤٧٦/٨).

(٢٥) الكامل في الضعفاء (١١٢/٦).

(٢٦) تهذيب الكمال (٣١٨/٣١)، سير أعلام النبلاء (١٣٩/٩)، تهذيب التهذيب (٤٣/٣٧).

(٢٧) الكامل في الضعفاء (١١٢/٦).

ثم العتكي، البصري. مات في سنة سبعين ومائة وهو في عشر التسعين[٢٨].

المطلب الخامس: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه:

تبوأ ابن إسحاق مكانة مرموقة بين العلماء، فكان علامة في الحديث والمغازي، وغيرهما، مشهورًا بسعة الاطلاع، وقوة الحفظ للمتون؛ فلذلك أثنى عليه العلماء في عصره، وبعد عصره، بل أثنى عليه شيوخه بسعة علمه قبل غيرهم. فمن ذلك:

١- قال الزهري: "لا يزال بالمدينة علم ما بقي هذا - عنى: ابن إسحاق"[٢٩]. وهذه الشهادة من شيخ له هو الإمام الزهري تكفي المطلع في بيان مكانته العلمية السامية.

٢- و"قال علي بن المديني: مدار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ستة:...، فذكرهم، ثم قال: فصار علم الستة عند اثني عشر: أحدهم: محمد بن إسحاق"[٣٠].

٣- وقال ابن حبان: " لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه، ولا يوازيه في جمعه، وكان شعبة وسفيان يقولان: محمد بن إسحاق أمير المؤمنين في الحديث، ومن أحسن الناس سياقًا للأخبار، وأحسنهم حفظًا لمتونها"[٣١].

٤- وقال الذهبي: " وهو أول من دون العلم بالمدينة، وذلك قبل مالك وذويه، وكان في العلم بحرًا عجاجًا"[٣٢].

٥- وقال أحد جلسائه: "كنا إذا جلسنا إلى محمد بن إسحاق فأخذ في فن من العلم، قضى مجلسه في ذلك الفن"[٣٣].

---

(٢٨) سير أعلام النبلاء (٩٨/٧)، تذكرة الحفاظ (١٩٩/١).

(٢٩) سير أعلام النبلاء (٣٦/٧).

(٣٠) سير أعلام النبلاء (٣٦/٧).

(٣١) الثقات لابن حبان (٣٨٣/٧).

(٣٢) سير أعلام النبلاء (٣٥/٧).

(٣٣) جليسه هذا هو: عبد الله بن فائد. سير أعلام النبلاء (٣٧/٧).

المطلب السادس: وفاته– رحمه الله–.

وبعد عمر قضاه الإمام ابن إسحاق في خدمة هذا الدين، ونفعِ أهل العلم بما روى، وبما أملى وكتب؛ وافته المنية في بغداد، ودفن بمقبرة الخيزران أم الرشيد، في الجانب الشرقي منها(٣٤).

وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته على عدة أقوال:

فقيل: مات سنة: أربع وأربعين ومائة، وقيل: سنة خمسين ومائة، وقيل: سنة إحدى وخمسين ومائة، وقيل: سنة ثنتين وخمسين ومائة، وقيل: سنة ثلاث وخمسين ومائة، وقيل: سنة أربع وخمسين ومائة(٣٥).

فإذا كان قد ولد–كما تقدم– سنة ثمانين فيكون عمره–باستثناء القول الأول– سبعين، أو بضعًا وسبعين سنة.

---

(٣٤) تاريخ بغداد (٢١٥/١).

(٣٥) وفيات الأعيان (٢٧٦/٤)، تهذيب الكمال (٤٢٧/٢٤)، سير أعلام النبلاء (٥٥/٧).

المبحث الثاني

حال ابن إسحاق عند أهل الحديث

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أقوال العلماء في تعديل ابن إسحاق والثناء عليه.

المطلب الثاني: الطعون التي وجهها بعض العلماء نحو ابن إسحاق، والجواب عنها.

المطلب الثالث: الترجيح.

اختلف العلماء في شأن ابن إسحاق جرحًا وتعديلًا، وقبولًا وردًا، اختلافًا كثيرًا؛ حيث أثنى عليه بعض علماء الحديث، وأطلقوا عليه عبارات المدح والإطراء، وأوصاف العلو العلمي. وفي المقابل قدح فيه بعض المحدثين والعلماء، ونقموا عليه أشياء تتعلق بالرواية والعدالة، فرُمي بالضعف والتدليس، والانفراد ببعض المناكير، والكذب، ورواية الإسرائيليات، كما اتُّهم بالتشيع، والقول بالقدر.

هذا مجمل ما رُمي به، وسيأتي التفصيل في ذلك والجواب عنه بعد ذكر مَن عدله من العلماء، وأثنى عليه.

وهذا الاختلاف وطعن الطاعنين فيه خصوصًا إنما هو في روايته، وعدالته، أما في كتابته في المغازي فقد أثنوا عليه ثناء كثيرًا، وشهدوا له بالإمامة في هذا الفن؛ قال ابن خلكان: " وكان محمد المذكور ثبتًا في الحديث عند أكثر العلماء، وأما في المغازي والسير فلا تجهل إمامته فيها"(٣٦).

(٣٦) وفيات الأعيان (٤/٢٧٦).

المطلب الأول: أقوال العلماء في تعديل ابن إسحاق والثناء عليه:

١-قال يحيى بن معين فيه: "كان ثقة، حسن الحديث"(٣٧).

٢-وقال شعبة: "محمد بن إسحاق أمير المحدثين لحفظه"(٣٨)، وقال أيضًا: " لو كان لي سلطان لأمَّرت ابن إسحاق على المحدثين"(٣٩).

٣-وقال سفيان بن عيينة: "جالست ابن إسحاق منذ بضع وسبعين سنة، وما يتهمه أحد من أهل المدينة، ولا يقول فيه شيئًا"(٤٠).

٤-وقال علي بن عبد الله: "نظرت في كتب ابن إسحاق، فما وجدت عليه إلا في حديثين، ويمكن أن يكونا صحيحين"(٤١).

٥-وقال البخاري: "رأيت علي بن عبد الله يحتج بحديث ابن إسحاق"(٤٢).

٦-وقال أبو حاتم: "يكتب حديثه"(٤٣).

٧-وقال المزي: "استشهد به البخاري في الصحيح، وروى له في كتاب القراءة خلف الإمام وغيره، وروى له مسلم في المتابعات، واحتج به الباقون"(٤٤).

٨-وقال الذهبي: "وهو صدوق في نفسه مرضي"(٤٥).

---

(٣٧) سير أعلام النبلاء (٣٥/٧).

(٣٨) المرجع السابق (٤١/٧).

(٣٩) ميزان الاعتدال (٤٧٣/٣).

(٤٠) الجرح والتعديل (٣٨/١).

(٤١) سير أعلام النبلاء (٤١/٧).

(٤٢) سير أعلام النبلاء (٣٩/٧).

(٤٣) الجرح والتعديل (١٩٢/٧).

(٤٤) تهذيب الكمال (٤٢٨/٢٤).

(٤٥) تذكرة الحفاظ (١٧٣/١).

المطلب الثاني: الطعون التي وجهها بعض العلماء نحو ابن إسحاق، والجواب عنها:

هناك عدة طعون رُمي بها ابن إسحاق تتعلق بالجانب الحديثي، والجانب الاعتقادي، وسيأتي الجواب عن كل ذلك.

أقوال العلماء الذين طعنوا فيه:

١-قال ابن أبي فديك: "رأيت ابن إسحاق يكتب عن رجل من أهل الكتاب"(٤٦).

٢-و"قال أحمد بن حنبل: حسن الحديث، وليس بحجة"(٤٧)، وقال أيضًا: " هو كثير التدليس جدًا"(٤٨).

٣-"وقال النسائي: "ليس بالقوى"(٤٩).

٤-وقال الدارقطني: "لا يحتج به"(٥٠).

٥-وقال الخطيب البغدادي:" وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحد من العلماء؛ لأسباب منها: أنه كان يتشيع، وينسب إلى القدر، ويدلس في حديثه، فأما الصدق فليس بمدفوع عنه"(٥١).

٦-وقال الذهبي: " محمد بن إسحاق بن يسار أحد الأعلام، صدوق، قوي الحديث إمام، لا سيما في السير، وقد كذبه: سليمان التيمي، وهشام بن عروة، ومالك، ويحي القطان، ووهيب"(٥٢).

وقال أيضًا: "وهو أول من دون العلم بالمدينة، وذلك قبل مالك وذويه، وكان في العلم بحرًا عجاجًا، ولكنه ليس بالمجود كما ينبغي"(٥٣).

وقال كذلك: " وليس بذاك المتقن، فانحط حديثه عن رتبة الصحة"(٥٤).

٧-وقال ابن حجر:" صدوق، يدلس، ورمي بالتشيع، والقدر"(٥٥).

---

(٤٦) ميزان الاعتدال (٤٧٠/٣).

(٤٧) المغني في الضعفاء (٥٥٢/٢).

(٤٨) ميزان الاعتدال (٤٧٠/٣).

(٤٩) المرجع سابق (٤٦٩/٣).

(٥٠) ميزان الاعتدال (٤٦٩/٣).

(٥١) تاريخ بغداد (٢٢٤/١).

(٥٢) المغني في الضعفاء، للذهبي (٥٥٢/٢).

(٥٣) سير أعلام النبلاء(٣٥/٧).

(٥٤) تذكرة الحفاظ(١٧٣/١).

(٥٥) تقريب التهذيب(٤٦٧/٢).

فهذه بعض أقوال جمع من أهل العلم في الطعن في ابن إسحاق.

الجواب عن تلك الطعون:

لم تمر هذه التهم على نقّاد العلماء دون أن يمخضوها، ويجيلوا النظر فيها؛ ليقبلوها، أو يردوها عن تمحيص وتتبع؛ فلذلك رد بعض العلماء على هذه التهم، إما بنفيها نفيًا مطلقًا، وإما ببيان وجه قول القادح في ابن إسحاق وتوجيهه.

أولًا: فأما رميه بالقدر والتشيع-إن صح ذلك-:

فقد "قال محمد بن عبدالله بن نمير: رمي بالقدر، وكان أبعد الناس منه"(٥٦).

وأيضًا فإن بعض المحدثين قد رووا عن بعض أصحاب البدع غير المكفرة إذا كانوا صادقين، ولم يكونوا دعاة إلى بدعهم(٥٧).

ثانيًا: سماعه من أهل الكتاب:

وأما سماعه من أهل الكتاب فلا يعد ذلك قادحًا ترد به كل رواياته، وقد أجاب عن ذلك الذهبي فقال: " قلت: ما المانع من رواية الإسرائيليات عن أهل الكتاب مع قوله صلى الله عليه وسلم: (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)(٥٨)، وقال: (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم) (٥٩).

فهذا إذن نبوي في جواز سماع ما يأثرونه في الجملة، كما سمع منهم ما ينقلونه من الطب، ولا حجة في شيء من ذلك، إنما الحجة في الكتاب والسنة"(٦٠).

ثالثًا: تكذيب مالك وهشام بن عروة له:

وأما تكذيب مالك وهشام بن عروة له فإن مالكًا قد كذّبه لقول قاله فيه ابن إسحاق فأغضبه فقال ذلك، أو لاعتماده على قول هشام فيه، وأما هشام فقد اعتمد في تكذيبه على تحديثه عن امرأته وهو لم يرها، وهذه ليست حججًا لتكذيبه، ويتضح الجواب عن ذلك بما يلي:

---

(٥٦) ميزان الاعتدال(٣/٤٦٩).

(٥٧) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي(١/٣٢٥).

(٥٨) رواه البخاري، صحيح البخاري/كتاب الأنبياء/ باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣/١٢٧٥) برقم: (٣٢٧٤).

(٥٩) رواه البخاري، صحيح البخاري/ كتاب التوحيد/باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها (٦/٢٧٤٢)(٧١٠٣).

(٦٠) ميزان الاعتدال(٣/٤٧٠).

١-عن "إبراهيم بن المنذر عن ابن عيينة أنه قال: ما يقول أصحابك في محمد بن إسحاق؟ قال: قلت: يقولون: إنه كذاب، قال: لا تقل ذلك"(٦١).

٢-وقال أحمد بن حنبل: في قول هشام بن عروة: " أهو كان يدخل على امرأتي؟! – يعني: محمد بن إسحاق، وامرأته فاطمة بنت المنذر-. قلت: وما يدرى هشام بن عروة ؟! فلعله سمع منها في المسجد، أو سمع منها وهو صبي، أو دخل عليها فحدثته من وراء حجاب، فأي شيء في هذا؟! وقد كانت امرأة قد كبرت وأسنت"(٦٢).

٣-وقال الذهبي: "وقال أبو داود سليمان بن داود: "قال يحيى القطان: أشهد أن محمد بن إسحاق كذاب. قلت: وما يدريك ؟ قال: قال لي وهيب، فقلت لوهيب: وما يدريك ؟ قال: قال لي مالك بن أنس. فقلت لمالك: وما يدريك؟ قال: قال لي هشام بن عروة، قال: قلت لهشام بن عروة: وما يدريك؟ قال: حدث عن امرأتي فاطمة بنت المنذر، وأدخلت علي وهى بنت تسع، وما رآها رجل حتى لقيت الله تعالى.

قلت-أي: الذهبي-: قد أجبنا عن هذا، والرجل ما قال: إنه رآها، أفبمثل هذا يعتمد على تكذيب رجل من أهل العلم؟!. هذا مردود.

ثم قد روى عنها محمد بن سوقة ولها رواية عن أم سلمة، وجدّتها أسماء، ثم ما قيل من أنها أدخلت عليه وهي بنت تسع غلط بيّن، ما أدري ممن وقع من رواة الحكاية؛ فإنها أكبر من هشام بثلاث عشرة سنة، ولعلها ما زفت إليه إلا وقد قاربت بضعًا وعشرين سنة، وأخذ عنها ابن إسحاق وهي بنت بضع وخمسين سنة أو أكثر"(٦٣).

٤-وقال الذهبي أيضًا: " وأما مالك رحمه الله تعالى فإنه نال منه بانزعاج؛ وذلك لأنه بلغه أنه يقول: اعرضوا عليَّ علم مالك؛ فأنا بيطاره. فغضب مالك فقال: انظروا إلى دجال من الدجاجلة"(٦٤). وهذا من كلام الأقران فيما بينهم، وكلام الأقران يطوى ولا يروى، كما قال الذهبي(٦٥).

---

(٦١) الجرح والتعديل(١٩٢/٧).

(٦٢) ميزان الاعتدال(٤٧٠/٣).

(٦٣) ميزان الاعتدال(٤٧١/٣).

(٦٤) تذكرة الحفاظ(١٧٣/١).

(٦٥) سير أعلام النبلاء(٢٧٥/٥).

٥-وقال الذهبي كذلك في قول هشام بن عروة : والله إن رآها قط، "قلت: هشام صادق في يمينه، فما رآها، ولا زعم الرجل أنه رآها، بل ذكر أنها حدثته، وقد سمعنا من عدة نسوة، وما رأيتُهن. وكذلك روى عدة من التابعين عن عائشة، وما رأوا لها صورة أبدًا"[٦٦].

٦-وقال أيضًا: "ويبين لك بطلانها: أن فاطمة بنت المنذر لما كانت بنت تسع سنين، لم يكن زوجها هشام خُلق بعد، فهي أكبر منه بنيف عشرة سنة، وأسند منه؛ فإنها روت -كما ذكرنا - عن أسماء بنت أبي بكر، وصح أن ابن إسحاق سمع منها، وما عرف بذلك هشام. أفبمثل هذا القول الواهي يكذب الصادق!، كلا والله، نعوذ بالله من الهوى والمكابرة، ولكن صدق القاضي أبو يوسف إذ يقول: من تتبع غريب الحديث كُذِّب، وهذا من أكبر ذنوب ابن إسحاق؛ فإنه يكتب عن كل أحد، ولا يتورع- سامحه الله -"[٦٧].

---

(٦٦) سير أعلام النبلاء(٥/٢٧٥).

(٦٧) سير أعلام النبلاء(٧/٤٩-٥٠).

المطلب الثالث: الترجيح:

وبعد الخوض في كلام أهل العلم في روايات ابن إسحاق بين المعدلين والجارحين يخلص الباحث إلى ذكر قول يمكن أن يكون فصلًا بين الفريقين في شأن ابن إسحاق ذكره الحفّاظ: ابن عدي، والذهبي، وابن حجر العسقلاني.

١-قال ابن عدي: " ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن كتب لا يحصل منها شيء فصرف أشغالهم حتى اشتغلوا بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومبتدأ الخلق، ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم فهذه فضيلة لابن إسحاق سبق بها ثم بعده صنفه قوم آخرون ولم يبلغوا مبلغ ابن إسحاق فيه، وقد فتشت أحاديثه الكثيرة فلم أجد في أحاديثه ما يتهيأ أن يقطع عليه بالضعف، وربما أخطأ أو وهم في الشيء بعد الشيء كما يخطئ غيره، ولم يتخلف عنه في الرواية عنه الثقات والأئمة، وهو لا بأس به"(٦٨).

٢-وقال الذهبي: " والذي تقرر عليه العمل: أن ابن إسحاق إليه المرجع في المغازي والأيام النبوية، مع أنه يشذ بأشياء، وأنه ليس بحجة في الحلال والحرام، نعم، ولا بالواهي، بل يستشهد به"(٦٩).

وقال أيضًا: " فالذي يظهر لي: أن ابن إسحاق حسن الحديث، صالح الحال، صدوق، وما انفرد به ففيه نكارة؛ فإن في حفظه شيئًا، وقد احتج به أئمة، فالله أعلم"(٧٠).

وقال كذلك: "كان صدوقًا، من بحور العلم، وله غرائب في سعة ما روى تستنكر، واختلف في الاحتجاج به، وحديثه حسن، وقد صححه جماعة"(٧١).

وقال أيضًا: "وهو صالح الحديث، ماله عندي ذنب، إلا ما قد حشا في السيرة من الأشياء المنكرة المنقطعة، والأشعار المكذوبة"(٧٢).

وقال كذلك: "قلت: لسنا ندعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغلط النادر، ولا من الكلام بنفس حاد فيمن بينهم وبينه شحناء وإحنة، وقد علم أن كثيرًا من كلام الأقران بعضهم في بعض مهدر، لا عبرة به، ولا سيما إذا وثق الرجل جماعة يلوح على قولهم الإنصاف. وهذان الرجلان-يقصد ابن إسحاق ومالكًا- كل منهما قد نال من صاحبه، لكن أثر كلام مالك في محمد بعض اللين، ولم

---

(٦٨) الكامل في الضعفاء(١١٢/٦).

(٦٩) تذكرة الحفاظ(١٧٣/١).

(٧٠) ميزان الاعتدال(٤٧٥/٣).

(٧١) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (١٥٦/٢).

(٧٢) ميزان الاعتدال(٤٦٩/٣).

يؤثر كلام محمد فيه ولا ذرة، وارتفع مالك وصار كالنجم. فله ارتفاع بحسبه، ولا سيما في السير، وأما في أحاديث الأحكام، فينحط حديثه فيها عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن، إلا فيما شذ فيه، فإنه يعد منكرًا، هذا الذي عندي في حاله-والله أعلم-"(٧٣).

٣-وقال ابن حجر: " محمد بن إسحاق بن يسار، الإمام في المغازي، مختلف في الاحتجاج به، والجمهور على قبوله في السير، قد استفسر من أطلق عليه الجرح فبان أن سببه غير قادح، وأخرج له مسلم في المتابعات، وله في البخاري مواضع عديدة معلقة عنه، وموضع واحد قال فيه: قال إبراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن إسحاق، فذكر حديثًا" (٧٤).

وقال أيضًا: "ما ينفرد به -وإن لم يبلغ درجة الصحيح- فهو في درجة الحسن إذا صرح بالتحديث"(٧٥). والله أعلم.

---

(٧٣) سير أعلام النبلاء(٧/٤٠-٤١).

(٧٤) فتح الباري (١/٤٥٨).

(٧٥) المرجع السابق(١١/١٦٣).

المبحث الثالث

كتاب السيرة النبوية لابن إسحاق، وما قيل فيه

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مميزات سيرة ابن إسحاق.

المطلب الثاني: ثناء العلماء على ابن إسحاق في سيرته.

المطلب الثالث: هفوات وقع فيها ابن إسحاق في سيرته.

المطلب الأول: مميزات سيرة ابن إسحاق:

لقد كان لكتاب سيرة ابن إسحاق ميزات عديدة، وفضائل كثيرة، حتى جعلته عمدة أهل السيرة، ومنهلهم العذب الذي يردونه؛ فلذلك ذاع صيته بين الناس، فأقبل عليه العلماء، وطلبة العلم، وعموم المسلمين، كما اعتمد عليه الباحثون والكتاب في كتاباتهم عن السيرة النبوية.

وزاده قيمة وألقًا وبهاء: عمل ابن هشام فيه، فقد قدم له خدمة جليلة في تنقيحه وتحريره، واختصاره وتهذيبه، والزيادة المحبوبة عليه، وحذف ما يكدره بقاؤه، والحفاظ عليه من الضياع؛ ولذلك بقي ما عمله ابن هشام، وذهب الكتاب الأصل كتاب ابن إسحاق، ولم يصل إلينا كاملًا، غير أنه طبع جزء منه بتحقيق بعض المحققين المعاصرين(٧٦).

فمن تلك المميزات:

١-جمعه الكبير لأحداث السيرة النبوية منذ مبعث رسول صلى الله عليه وسلم إلى موته، ومروره على ذكر الحياة المكية، والمدنية، في العهد النبوي، واهتمامه الواضح بغزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع تدوين تفاصيل متعددة عن ذلك الظرف الزمني العظيم.

٢-أسلوب التسلسل والترتيب الذي سلكه في كتابة تلك الأحداث.

٣-موافقته في ذكر تلك الأحداث-خصوصًا المغازي- للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.

٤-استشهاده بكثير من الآيات القرآنية، وتفسيره لها، وهذا يمثل إضافة حسنة للتفسير؛ فقد جمع ابن إسحاق في هذا الكتاب الآيات النازلة في حوادث السيرة وفسر كثيرًا منها، وزاد الأمر حُسنًا ما أضافه ابن هشام من التفسير والتبيين لتلك الآيات.

٥-تبيينه معاني بعض الألفاظ الغريبة من لغة العرب: شعرها ونثرها.

٦-التقدم والقرب من العصر النبوي؛ فقد أدرك ابن إسحاق أواخر الصحابة موتًا، فقد قيل: إنه رأى أنس بن مالك بالمدينة(٧٧).

٧-أنه دوَّن المثال العملي من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحياة أصحابه الكرام رضي الله عنهم، وكشف بجلاء كيفية معاملتهم، لله تعالى، ومعاملتهم لدينه، ومعاملتهم للحياة والأحياء، فمثَّل ذلك للمسلمين مصدرًا من مصادر الاقتداء، وأنموذجًا فذًا للعز والشرف. قال علي بن الحسين: "كنا

---

(٧٦) ظهر من الكتاب جزء حققه الدكتور: محمد حميد الله، بعنوان:(المبتدأ والمبعث والمغازي)، وقد طبع في الرباط سنة: ١٣٩٦هـ. وحقق الجزء نفسه أيضًا الدكتور: سهيل زكار بعنوان: (السيرة النبوية لابن إسحاق برواية يونس بن بكير)، وطبع في دار الفكر بدمشق. ولا أدري غير ذلك. فالله أعلم.

(٧٧) سير أعلام النبلاء (٣٤/٧).

نُعلَّم مغازي النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه كما نُعلَّم السورة من القرآن"(٧٨).

وكان بعض الصالحين يقول: " كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعدها علينا وسراياه ويقول: يا بَنِيَّ، هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها"(٧٩).

المطلب الثاني: ثناء العلماء على ابن إسحاق في سيرته:

لقد كان تأليف ابن إسحاق لكتاب السيرة النبوية حدثًا عظيمًا في تاريخ الإسلام العلمي؛ إذ لم يدوِّن أحد قبله مثله، فانتشر الكتاب بين الناس، فوصل إلى أيدي العلماء فقرأوه، واستفادوا منه، فأثنوا عليه، ومدحوا مؤلفه؛ شكرًا لهذا الخير العميم الذي قدمه لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وأصبحوا يقتبسون منه عند حديثهم عن السيرة النبوية.

فمن أقوال العلماء في الثناء عليه:

١-قال الشافعي: " من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق"(٨٠).

٢-وقال ابن عدي: "ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن كتب لا يحصل منها شيء، فصرف أشغالهم حتى اشتغلوا بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبتدأ الخلق ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فهذه فضيلة لابن إسحاق سَبق بها " (٨١).

٣-وقال ابن سيد الناس: " وعمدتنا فيما نورده من ذلك على محمد بن إسحاق؛ إذ هو العمدة في هذا الباب لنا ولغيرنا" (٨٢).

٤-وقال الذهبي: " محمد بن إسحاق بن يسار أحد الأعلام، صدوق قوي الحديث إمام، لا سيما في السير"(٨٣).

٥-وقال أيضًا: " قد كان في المغازي علامة"(٨٤).

٦-وقال كذلك: " وكان أحد أوعية العلم، حبرًا في معرفة المغازي والسير"(٨٥).

---

(٧٨) الجامع لأخلاق الراوي (١٩٥/٢).

(٧٩)الجامع لأخلاق الراوي (١٩٥/٢).

(٨٠) تاريخ بغداد (٢١٩/١).

(٨١) الكامل في الضعفاء (١١٢/٦).

(٨٢) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (١١/١).

(٨٣) المغني في الضعفاء، مرجع سابق (٥٥٢/٢).

(٨٤) سير أعلام النبلاء (٣٧/٧).

(٨٥) تذكرة الحفاظ (١٧٣/١).

المطلب الثالث: هفوات وقع فيها ابن إسحاق في سيرته:

لم يسلم ابن إسحاق من الأخطاء التي يقع في أمثالها البشر عامة، هذا إن اتُفق على جعلها أخطاء لا تقبل الجواب عنها كلها، أو عن بعضها.

وحصر أخطاء معدودة من مجموع خير كثير برهان مدح، لا عنوان ذم، كما قال الشاعر:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلًا أن تعد معايبه(٨٦).

ومع هذا إذا تبين الخطأ ولم يحتمل التأويل فإنه يبقى خطأ يجدر عدم الأخذ به، وتقليد ابن إسحاق أو غيره من الناس فيه؛ لأن المؤمن ينشد الصواب، ويطَّرح الخطأ ممن جاء به، مع حفظ حق صاحب الصواب الكثير.

فمن أبرز ما أُخذ على ابن إسحاق في سيرته:

١-رواية الغرائب، وقلة الإتقان والضبط، والراويةُ عن المجهولين بأحاديث باطلة، وسَوْق بعض الروايات بدون إسناد، أو بمراسيل، مع أن بعضها قد يكون مشهورًا في التاريخ.

قال محمد بن عبد الله بن نمير عن ابن إسحاق: " إذا حدث عمن سمع من المعروفين فهو حسن الحديث، صدوق، إنما أُتي أنه يحدث عن المجهولين بأحاديث باطلة"(٨٧).

ومن الأمثلة على ذلك: قال ابن هشام: " قال ابن إسحاق: وحدثني بعض بني سعد بن بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ: إن قدرتم على بجاد رجل من بني سعد بن بكر فلا يفلتنكم- وكان قد أحدث حدثًا- فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله، وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، فعنفوا عليها في السياق فقالت للمسلمين: تعلموا والله إني لأخت صاحبكم من الرضاعة، فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم..." (٨٨).

فقوله: " عن بعض بني سعد". هذه رواية عن مجهول.

وهذا كله بناء على اصطلاح المحدثين. وتطبيق قواعد المحدثين على روايات السيرة النبوية كلها قد يخرج روايات مشهورة إلى حيز الضعف.

---

(٨٦) البيت ليزيد بن خالد المهلبي، خزانة الأدب وغاية الأرب (٤٥٦/١).

(٨٧) الكامل في الضعفاء (١٠٦/٦).

(٨٨) السيرة النبوية (١٢٧/٥).

٢-إيراده لأشعار كثيرة أنكر عليه صحتَها أهلُ العلم بالشعر.

قال الذهبي: "وهو صالح الحديث، ماله عندي ذنب، إلا ما قد حشا في السيرة من الأشياء المنكرة المنقطعة، والأشعار المكذوبة"(٨٩).

وذكر ابن هشام في مقدمته عن نفسه أنه ترك أشعارًا ذكرها ابن إسحاق، ما رأى ابن هشام أحدًا من أهل العلم بالشعر يعرفها(٩٠).

مع أن ابن هشام أبقى بعض القصائد التي صرح بعض أهل العلم بإنكارها من جهة نسبتها لشخص معين، أو لشيء آخر-كما بين هو ذلك عند إيرادها-، ولعل غرضه من ذلك بيان علتها-كما تقدم-.

فمن أمثلة ذلك:

"قال ابن إسحاق: " وكان مما قيل من الشعر في يوم بدر، وتراد به القوم بينهم لما كان فيه: قول حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله، قال ابن هشام: "وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها"(٩١).

بل إن بعضهم أبعد في قضية الشعر الذي أورده ابن إسحاق في سيرته حتى قال: "ويقال: كان يعمل له الأشعار، ويؤتى بها، ويُسأل أن يدخلها في كتابه في السيرة فيفعل، فضمَّن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر"(٩٢).

٣-أشياء زل بها في النسب الذي يسوقه.

قال ابن النديم: "وأخطأ في النسب الذي أورده في كتابه"(٩٣).

لكن ابن النديم لم يمثل على ما انتقده بأمثلة مما ذكره ابن إسحاق.

---

(٨٩) ميزان الاعتدال(٣/٤٦٩).

(٩٠) السيرة النبوية(١/١٠٩).

(٩١) السيرة النبوية(٣/٢٧٧).

(٩٢) الفهرست(ص: ١٣٦).

(٩٣) الفهرست(ص: ١٣٦).

٤-حمله عن أهل الكتاب.

قال ابن النديم: "وكان يحمل عن اليهود والنصارى، ويسميهم في كتبه: أهل العلم الأول"(٩٤).

وقد تقدم الجواب عن هذا القدح.

٥-أشياء أجملها ابن هشام ولم يفسرها.

في قوله: " وتارك ...، أشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعضَ الناس ذكرُه، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته"(٩٥).

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

(٩٤)الفهرست(ص: ١٣٦).

(٩٥) السيرة النبوية(٣/٢٧٧).